قصص المثنوي

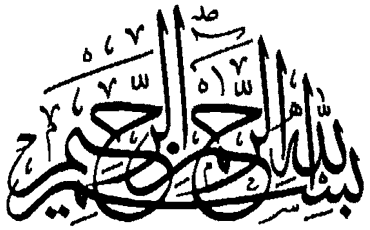
بسم الله الرحمن الرحيم

قصص المثنوي

محمد المحمدي الاشتهاردي

الجزء الأول

دار المحجة البيضاء

دار الرسول الأكرم ص

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ-١٩٩٨م

دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع = بيروت - لبنان ص ب ١٤/٥٤٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

ألف : نظرةٌ على حياة مولوي :

العارف والشّاعر الكبير في القرن السّابع ، جلال الدين محمد ؛ المشهور بـ«مولانا» ، وهو من العلماء والعرفاء الكبار في العالم الاسلامي ، الذي كان يذكر اسمه كعارف بارز على مدىٰ القرون .

ولد المولوي في اليوم السّادس من ربيع الأوّل سنة ٦٠٤ هجري قمري في منطقة « بلخ » وتوفي في اليوم الخامس من جمادى الآخر عن عمرٍ يناهز ٦٨ سنة في منطقة « قونية » (وهي احدىٰ المناطق الجنوبيّة لتركيا في الوقت الحاضر) .

مدينة بلخ ؛ وهي الآن احدىٰ المناطق البعيدة في

افغانستان وقد كانت في زمن مولانا ، من المراكز الثقافيّة والأدبية والعقائدية الايرانية وكانت تحتسب من توابع خراسان آنذاك .

اسم مولانا ؛ جلال الدين محمد ووالده بهاء الدين ولد ؛ محمد بن حسين الخطيبي ، والذي كان يكنّىٰ بـ«سلطان العلماء» ، وهكذا كان مولانا يمتلك القابليّة على الامتناع وترويض نفسه وهو ابن الخامسة من عمره .

هاجر بهاء الدين ولد ، مكرهاً من مدينة بلخ على أثر المعارضة التي حصلت بينه وبين الأهالي وكذلك الاختلاف مع الخوارزمشاه .

فصحب ابنه جلال الدين مولانا وكان عمره ثلاثة عشر سنة آنذاك ، خرج من بلخ قاصداً المشاركة في مراسم الحج ، وفي طريقهم وصلوا إلىٰ نيشابور وعندما اتّجهوا لزيارة الشّيخ فريد الدين العطار ، وقد اهدىٰ جلال الدين كتاباً (رسالة الأسرار) بعد أن احتضنه ودعا له ، وصل مولانا إلى «ملاطية» بعد أن مرّ ببغداد وحجّ بيت الله الحرام ، أقام في هذه المنطقة أربع سنوات وبعدما سكن في لارندة سبع سنين.

اهتمّ فخر الدين بهرامشاه ؛ ملك « ارزنجان » (وهي منطقة الأرامنة في تركيا) وابنه علاء الدين داوُد شاه بوالد مولانا اهتماماً كبيراً .

بعد ذلك طلب علاء الدين كيقباد ملك السلاجقة الرّومي (آسيا الصغرىٰ) من والد مولانا المجيء إلىٰ مدينة «قونية» فاستجاب هو وابنه لطلبهم .

وبناءاً على ما روي انّ جلال الدين محمد قد تزوّج من كوهر خاتون بنت خواجه لالاى سمرقندي في لارندة باقتراح من والده فصار عنده ثلاثة أولاد وبنت .

كان أبوه ناصحاً للناس وقد وافاه الأجل في سنة ٦٢٨ هـق .

وقد سار مولانا نهج أبيه وهو شابٌ له من العمر أربع وعشرون سنة .

وقد غادر مولانا قونية متوجهاً إلىٰ «حلب» ماكثاً فيها اكثر من أربع سنوات حيث التقىٰ فيها بالعارف المشهور آنذاك « محي الدين العربي » .

بعدها ذهب إلىٰ دمشق واشتغل فيها بتحصيل العلم ثمّ

رجع إلىٰ قونية، قام بتدريس العلوم الدينيّة بعد وفاة المحقق الترمذي قرابة خمس سنوات من سنة ٦٣٨ إلىٰ سنة ٦٤٢ هق، وكما كتبوا كان يحضر درسه أربعمائة طالباً.

كان يرتدي العمامة حسب طريقة علماء الدين حيث يُرخي لها ذوائبة ويلفّها على رقبته، وكان يلبس الرداء ذو الجلباب الواسع.

قد اشتهر مولانا بامام الدين الأحمدي آنذاك وأدّىٰ لقاء مولانا مع «شمس الدين محمدي علي» المعروف بـ«شمس تبريزي» إلىٰ صفحة جديدة مملوءة بالهيجان في حياته ولهذا شرحٌ مفصّل.

وأخيراً عند غروب يوم الأحد الخامس من جمادى الآخر سنة ٦٧٢ هق توفي على أثر مرض غير متوقّع.

وقد شيّعه الصغير والكبير من أهالي قونية، وكذلك جلس في عزائه المسيحيون واليهود ودفن جسده في أرض قونية واشادَ بعض الأغنياء والمريدين له علىٰ قبره بناءاً سُمّي (بالقبة الخضراء)، ودُفن في ذلك المكان اكثر أقربائه ومنهم والده.

ب ـ الآثار العلمية لمولانا :

من الآثار العلميّة لمولانا :

١ ـ « **مثنوي معنوي** » : يحتوي هذا الكتاب على ستة أقسام بالاضافة إلىٰ ٢٦ ألف بيت ، أنشد على بحر الرمل وقد عرض مطالبُه على طريق وسنة التمثيل يشبه إلىٰ حدّ الكتب المقدسة وبتعبير آخر يمكن أخذ الحقائق المعنوية والنتائج الدينيّة العرفانية منها .

وكان هدفه من هذه القصص والحكايات أن يوضح أفكاره الحكيمة والعرفانيّة بشكل أوضح .

٢ ـ **ديوان غزليّات شمس الدين التبريزي** : ويحتوي هذا الديوان على ٥٠ ألف بيت وهي مجموعة شعريّة ذات درجة عالية والتي أنشدها في شدّة شوقه بلقاء العارف شمس تبريزي .

٣ ـ **الرباعيّات** : وقد طبعت مع غزليّات شمس بواسطة بديع الزمان فروزانفر (الجلد الثامن ط جامعة) .

٤ ـ **فيه وما فيه** : مجموعة نثريّة ثقافيّة تحتوي على رسائل

مولانا والتي أوصلها إلىٰ الطباعة ابنه بهاء الدين محمد بياري أحد المريدين لمولانا .

٥ ـ **الرسائل لمولانا :** والتي تحتوي على رسائل شاملة لمولوي .

٦ ـ **المجالس السّبعة :** وهي المحاضرات التي كان يلقيها مولانا على المنبر .

ومن الجدير بالذكر انّ مولانا جلال الدين محمد كان يلقّب في بعض الأحيان بـ«مولوي» و «ملاي روم» احياناً أُخرىٰ .

ج ـ شخصيّتُهُ :

لقد اختلفوا بالقول حول شخصيّة مولانا فبعضهم أعلىٰ مقامه والبعض الآخر اتّهمه بالتصوّف والزندقة والكفر ، ولأجل كتابه المعروف بالنثر المعنوي أدّىٰ هذا الحكم عليه ، لماذا ؟ لأن هذا الكتاب يحتوي على مسائل تعليميّة كثيرة وكذلك يحتوي أمور لا أساس لها ... وعلى الرغم من امتلاكه القوّة الروحية والذهنيّة الواسعة ولكنّه في بعض

الأحيان تبقىٰ أرجلهُ في الوحل .

وأحياناً يقول :

أن فتح شفاهي كساحل البحر فاذا قلتُ لا كان مراد الله فيها

وفي وقت آخر يقول :

أنا المشتعل فمن ذا الذي يريد أن يأخذ منّي ناراً ليحرق التافه

وبعض الأحيان يقيد نفسه بمعاني الألفاظ والعجز عن ما يضمره فيبقىٰ حيراناً .

كان له باعاً في الرياضة الروميّة واحياء الليالي ولم يقتصر على الكلام وانشاد الشعر بل كان أول من ينفذ ما يقوله .

لم يقتصر تفكيره على الحياة الدّنيا بل كان يحلق في عالم الأبد والأزل .

د ـ هدفهُ من كتاب مثنوي :

من مجموع ما جاء في هذا الكتاب نحصل على أن هدف مولانا من تأليف (الذي يحتوي على ٢٦ ألف بيت في ستّة أجزاء) هو عرض الانسان الكامل والوجدان الطاهر

وتقوية شخصيّة الانسان الالهيّة ، واساس كلّ هذا التزكية والتهذيب .

ويلفت أنظار النّاس بأنّ الحياة الحقيقيّة بالتهذيب والتكامل الروحي لا بالأكل والشرب والغضب والشهوة .

أخرجوا الأشواك من يد لقمان .

يعني « اخرجوا أشواك الغرائز الحيوانيّة من الروح الانسانيّة » .

ويوضح لنا مولانا العرفان على نحوين :

١ ـ العرفان الايجابي ٢ ـ العرفان السلبي

١ ـ العرفان الايجابي :

أن يجعل من الانسان بطلّ في ميادين التزكية والتكامل في كلّ أبعادها الانسانيّة الاسلاميّة .

٢ ـ العرفان السلبي :

أن يجعل الانسان خارجاً عن الحياة الواقعية ويقوده نحو العزلة والانزواء والتيه .

ومن الجدير بالذكر أن مولانا يرىٰ بأن الفلسفة الجوفاء والخالية من العرفان والعشق الالهي لا معنىٰ لها ، ودائماً

يحثّ على العرفان العملي.

على كلّ حال انّ هذا الكتاب يحتوي على العشرات من الآيات والروايات الاسلاميّة التي بيّنت بها الحقائق الملموسة في الحياة ويتكأ مولانا في شعره بجذب الحقائق والسعي والعمل في اشباع ما يحتاج اليه الروح والجسم.

هـ ـ الانتباه إلىٰ إحدىٰ الحقائق:

في نظر الكاتب: لو فرضنا انّ مولانا لا يمتلك الخبرة الواضحة والمورد الصحيح في الثقافة الاسلاميّة لما استطاع أن يثبت في كتابه الأمور الحكيمة ذات الباع الطويل، وعلى حدّ قول العالم الكبير الشّيخ البهائي «بعضهُ يهدي وبعضه يضلّ» وعلى كلّ حال يذكر بعض الروايات عن الائمة الأطهار (عليهم السلام) بأنّ: «الحكمة ضالّة المؤمن»[1].

ويقول أمير المؤمنين(ع): «خذ الحكمة أنّىٰ كانت فانّ الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره حتى تخرج فتسكن إلىٰ صواحبها»[2] ويقول في حديث آخر:

---

(١) نهج البلاغة: الحكم ٧٩ ـ ١٩٧.

(٢) نفس المصدر.

وهنا الفاظٌ لها نظرة عميقة وبعيدة جاءت في هـذا الكـتاب أمثال : الشرب ، الطرب ، الخمر ... ولها معاني عرفانيّة باطنة وليس المقصود منها المعاني الظّاهريّة .

ومختصر الكلام :

هو انّه لا يوجد في هذه الدّنيا انساناً قد ارتقا أعلىٰ سلّم الرقي في المعرفة أن يصل إلىٰ حدّ الكمال المطلق ـ ما عدا الرسول (ص) وأهـل بـيته المـعصومين (عـليهم السـلام) ـ ولذلك يحصل الخطأ الفضيع عند غيرهم .

* * *

١ ـ « السلطان والجارية الحسناء » :

يُروىٰ في قديم الزمان انّ سلطاناً خرج إلىٰ البادية للصيد ، فوقع بصره علىٰ جارية حسناء ، فملأت قلبه بحبها حتىٰ عشقها ـ خرج السلطان للاصطياد الّا ان تلك الجارية الشابة اصطادت قلبه ولبّه ـ وبما ان السلطان كان يتمتع بثروة ومكانة عظيمتين ، فقد بذل الكثير من الذهب والفضة لبلوغ مراده هذا ، فاشترىٰ تلك الجارية الشابة وجلبها إلىٰ قصره ، ولم يمض وقت طويل حتى مرضت الجارية ، وبدت عليها آثار الضعف والاصفرار ، بدرجة انعكست علىٰ السلطان فضعف ونحل لحزنه وغمه عليها .

فجاء بالعديد من الأطباء المهرة الذين يعرفهم لغرض علاجها، الّا انّ محاولاتهم لم تسفر عن أي نتيجة تذكر ـ نعم عليك أن لا تغفل حينما تغرق في النعم واعلم انها ستزول في يوم ما، لأن كل حال يتبدل ولا تستبعد ان يحل سقمك محل صحتك ـ وبعد أن يأس السلطان من علاج الأطباء وتأكد من عدم جدوىٰ مساعيهم، توجه بسرعة إلىٰ محراب العبادة، وشرع بالاقرار بما يكنه في ذاته امام الله تعالىٰ، فذرف دموعاً كثيرة وتضرّع إلىٰ الله تعالىٰ بالدعاء من أجل شفاء الجارية، فغلبه النوم وهو علىٰ هذا الحال، فرأىٰ في منامه رجلاً مسناً يبشّره، ويقول له: «لقد استجيب دعاؤك، وسيتوجه اليك عما قريب حكيم وطبيب ماهر، وسيعالج جاريتك».

فلما أفاق من النوم، كانت الغبطة والسرور تملأ قلبه، فمكث ينتظر قدوم مثل هذا الطبيب الحكيم.

ولم يمض زمان طويل حتىٰ لمح عن بُعد الطبيب الحكيم، فهب بنفسه لاستقباله بدلاً من أن يرسل حرّاسه وحجابه لهذا الغرض.

أجل ، فقد أدرك السلطان ، أن التوجه لله تعالىٰ وبنية خالصة هو الضمان للتغلّب علىٰ المعضلات ، فشكر الله جل شأنه واثنىٰ عليه كثيراً ـ وبدأ يشرح للحكيم قصة مرض الجارية ، وكيف ان الأطباء عجزوا عن مداواتها ، ثم اخذه إلىٰ غرفة الجارية لأجل علاجها ، وبعد اجراء الفحوصات الأولية استنتج الطبيب ان مرضها ليس جسدياً عارضاً علىٰ الجسم ، بل هو مرض نفسي ، وأنّ داءها هو داء العشق .

سأل الطبيب الحكيم الجارية عدة اسئلة علىٰ انفراد ، وكان خلال الاسئلة والأجوبة يراقب دقات قلبها من خلال جسّه لها بيده فكان يسألها عن ديارها وأقاربها وأصدقائها ، والجارية تجيب بدورها علىٰ جميع هذه الأسئلة ، حتىٰ تحدث الطبيب صدفة عن مدينة سمرقند ، فانتبه إلىٰ انّ الجارية قد تغير نبضها الطبيعي فجأة وبدت عليها آثار الشحوب والاصفرار ، فسألها الطبيب عن شوارع وأزقة سمرقند وحينما دار الحديث عن زقاق « غاتفى » وساكنيه ازدادت سرعة ضربات قلبها كثيراً ، فاستنتج الطبيب من ذلك بأنها تحب صائغاً سمرقندياً يسكن زقاق « غاتفى » وتمكن

من تشخيص داء الجارية ، وقص الحكاية علىٰ السلطان ، وعالجها بنفس الطريقة هذه .

انهيار العشق المجازي :

شرح الطبيب السرّ الذي يكمن وراء داء الجارية ونحولها للسلطان فاستفسر السلطان بدوره عن العلاج ، فأجابه الطبيب قائلاً :

« عليك ببذل هذه الثروة والأموال التي بحوزتك لغرض استقدام الصائغ السمرقندي إلىٰ هنا ، كي أتدبّر الأمر وأُعالجه » .

فبذل السلطان أموالاً طائلة لجلب الصائغ السمرقندي ، فانخدع هذا بأبهة السلطان وفخامته ، فمثل بين يديه ، حتىٰ أصبح صائغهُ الخاص ونال الكثير من الاحترام والاجلال في حضرة السلطان ، حتىٰ قال الطبيب للسلطان : « هب الجارية للصائغ وزوّجه إياها ! » فنفذ السلطان هذا الأمر ، ووصلت الجارية إلىٰ معشوقها ، فاستعادت كامل صحتها وعافيتها بعد ستة أشهر .

خلال هذه الفترة كان الطبيب يخطط لحيلة خبيثة ، فقام بصنع شراب مميت وسقاه للصائغ السمرقندي ، حتىٰ تسمم واصفر لونه وضعف كثيراً ، لدرجة انشغل قلبه بمرضه عن حبّ الجارية ، وكانت الجارية قد ملّت منه أيضاً شيئاً فشيئاً .

لقد تحررت الجارية من عشقها الظاهري فاستعادت صحتها وعافيتها ، كما زال همّ السلطان وغمّه عندما اطمأن عليها ، أما الصائغ فقد دفع ثمن انخداعه ببريق الدنيا وزبرجها .

٢ ـ « القياس المضحك للببغاء » :

كان أحد البقالين
يمتلك في دكانه ببغاءاً
جميلاً ذا صوت حسن
وكان ذلك الببغاء يقوم
بحراسة الدكان ويجلب

أنظار المارّة إليه بألحانه الجذّابة ويقوم أيضاً بالمحافظة علىٰ حركة السوق فيها .

وفي أحد الأيام حينما كان البقال ذاهباً إلىٰ بيته ، صادف أن كانت قطة في الدكان تطارد فأراً ، فارتعد الببغاء من هذا المنظر وخاف وطار مضطرباً يميناً وشمالاً علىٰ أمل تخليص نفسه من مخالب القطة ، فارتطمت أجنحته بزجاجات مليئة بزيت اللوز فسقطت وتكسّرت وسال الزيت علىٰ الأرض .

وعندما جاء البقال إلىٰ الدكان وشاهد الموقف عن كثب امتلأ غيظاً فأمسك الببغاء وضربه بالعصا علىٰ رأسه ضرباً مبرحاً حتىٰ سقط ريش رأسه وأصبح أصلعاً ، فسكت